مسيو بتلان

بقلم الأديب عبد الغنى الأنبارى

مسيو بتلان بطل مسرحية فرنسية ظهرت فى القرن الخامس عشر ، وقد لاقت نجاحا منقطع النظير ، ولا زالت تلاق إقبالا عند تمثيلها . أما مؤلفها فقد تضاربت الآراء فى معرفته . ومسيو بتلان بطل المسرحيه محام ولكنه يمثل الشخص الخبيث الماكر الذى يوجه ذكاءه ونشاطه لخدمة مآربه الشخصية . ويطلق الفرنسيون اسم بتلان على كل إنسان يتصف بهذه الصفة . والعرض الذى أقدمه للمسرحية هو عن اللغة الإنجليزية

نحن الآن فى الفصل الأول من المسرحية حيث نرى مسيو بتلان بطلها وقد التزم داره ، آنسه إنسان مغرور يظهر على سيماه الخبث والمخادعة ، وهو كسول فى نفس الوقت ، لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الخروج للبحث عن مورد أو دعوى يتوكل فيها . وقد أزعجت حالته هذه زوجته « جيميت » — ولعلها أخبث منه — فآلمها ما يبدو من زوجها من التراخى والكسل إذ لا يبدو عليه أى اهتمام بحلول العيد وما يتطلب من ملابس جديدة . فتأخذ فى انتهاره وإيذائه بقارص الكلم وتوجه إليه لوما وتقريعا قائلة له : ما الفائدة فى أن يكون محاميا عظيما كما يدعى ، بينما هو يعجز عن تدبير المال الكافى لشراء ملابس العيد ! وكأنها بهذا الكلام أى بوصفها إياه — محاميا عظيما — قد مست فيه الوتر الحساس من نفسه المغرورة . فهتف بها أنه نعم لا زال ذلك القانونى والمحامى ذو الاسم اللامع فى عالم القضاء ، وسيريها الى أى حد سيوفق فى يومه هذا .

ثم يأخذ نفسه بالحزم والشدة فيلبس ملابسه ويخرج . الى أين ؟ لا يدرى . وأخذ يقدح فكره طوال الطريق . من أين يدبر المال اللازم وأين للسبيل الى ذلك ؟ أين يجد ذلك المخلوق الأبله الذى يرضى أن يوكله فى قضيته ، وهو ذلك المحامى الذى عرف بالحسة وضعة النفس فضلا عن أنه محام فاشل .

وما زال بأفكاره هذه حتى بلغ السوق ، وانتهى بتفكيره الى أن رغبة زوجته تنحصر فى الحصول على الملابس فقط . ولا يهمها إن كان محاميا عظيما أو فاشلا ، كما لا يهمها مطلقا المصدر الذى يحصل به على القماش المطلوب .

إذن فالمسألة هينة الى حد بعيد . هداه تفكيره الى رأى عزم على تنفيذه ، إذ كان قد وصل الى حانوت بائع للأقمشة اسمه « جيوم جوكوم » . أما جيوم هذا فقد عرف عنه أنه رجل حريص شديد البخل . فاقترب منه بتلان وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ملؤها الثقة بخبثه ، فسلم على جيوم وحياه وأخذ يصافحه بشدة وإخلاص ، متظاهرا بأنه صديق مخلص لعزيز عليه . فأخذ جيوم بهذه المفاجأة ودهش إذ أن هذا السيد يدعى أنه يعرفه ويدعى أكثر من هذا أنه صديق عزيز عليه ، فيبعد جيوم قليلا من حذره الذى عوده إياه بخله الشديد وسوء ظنه بالناس ، وتتفتح نفسه رويدا لهذا الإخلاص العميق الذى يبديه بتلان . ولا يزال به بتلان هاتفا هاشا باشا حتى يضطر جيوم الى دعوته إلى الجلوس ، فيتحدث بتلان عن الصحة والمزاج والأحوال ثم ينتقل الى الحديث عن العائلة وعن المرحوم الوالد العزيز الذى كان صديقا مخلصا له ، ثم أخذ يتحدث عن علاقته بالراحل الكريم وكيف أن جيوم كان لا يزال صغيرا عند ما كان هو يزورهم ، ثم يزيد مؤكدا كيف أنه — أى جيوم — يشبه أباه فى حركاته وفى ملامحه وفى رقة أخلاقه أيضا . ومايزال كذلك حتى يتحول الحديث فجأة إلى القماش قائلا : ياله من قماش بديع وجميل ! ولكنه فى هذا لا يظهر أنه جاد فى حديثه عن القماش فينتقل ثانية سائلا عن عائلة جيوم ويقول : إن زوجتى يسرها جدا أن تزورنا بل أن تتفضل بالغداء معنا . ولكن جيوم وقد تحركت فيه نفسية التاجر فيعود بالحديث عن القماش مطنبا ومادحا لهذا القماش الثمين فيؤيده بتلان فى ذلك وإن كان قد أظهر عدم المبالاة ، ومع هذا فانه يقول إنه سيرى نفسه مضطرا أن ينزل عن عشرين جنيها ثمنا لما سيشتريه اليوم من صديقه العزيز . ثم يعود للحديث عن الوليمة التى ستقيمها زوجته لصديقه جيوم ، وفى هذه الأثناء يمد يده الى قطعة أخرى ويختبرها ويقول : كيف أن القماش الفاخر يجتذب الزبائن اجتذابا ، وكيف يستولى على النقود فيسلبها من

أصحابها راضين بذلك . ولكنه يقول يا للأسف لقد نسيت محفظة النقود فى البيت . ولكن هذا لا يهم وإن كان الخير فى ذلك ، لأن جيوم سيستلم أثمان القماش عند حضوره للغداء ، ويتفقان على القماش . وعندها يعاود جيوم حذره وحرصه على النقود فيطلب أن يأتى هو بالقماش معه عندما يحضر للغداء ، ولكن صديقه الكريم بتلان لا يرضى بهذا العناء إذ كيف يكلف صديقه العزيز جدا بحمل ما يخصه ؟ ومايزال به حتى يرضخ جيوم للأمر ممنيا نفسه بغداء دسم مع استلام النقود .

ونرى بتلان فى الفصل الثانى وقد عاد الى بيته متأبطا القماش الفاخر فتفرح بذلك زوجته فيحدثها عن القصة وعن كيفية الحصول على القماش ، ثم يطلب منها أن تتكفل بالباقى فقد جاء دورها ، إذ أن جيوم سيحضر مطالبا بثمن القماش عند الغداء . وهنا يظهر خبث الزوجة فاذا هى أبرع من زوجها وكأنهما شن وطبقة ، فيتفقان على أن يتظاهر بتلان بالمرض وتدعى هى أنه مريض منذ أيام ولم يخرج أبدا ، ويبدآن بتنفيذ الخطة فيخلع بتلان ملابسه ويستلقى على السرير . وعندها يطرق الباب فيعلمان أنه جيوم بائع الأقمشة والضيف الكريم ، فتسذهب جيميت الى باب الدار وقد أخذت تسير على أطراف أصابعها متصنعة الاهتمام فتفتح الباب وتبدأ مهمتها فترحب بجيوم على أنه الطبيب وتدعوه للدخول وهى تشغله بالحديث عن المريض وكيف أنه يتألم وكيف أنه لا يدعها تذوق طعم الراحة .

فيدهش جيوم قائلا إن بتلان كان معه قبيل نصف ساعة ، وأنه اشترى منه قماشا وأنه مدعو للغداء ، فتصرخ فيه جيميت : أى قماش وأى غداء ؟ هو إذن هو ليس بالطبيب المنتظر وإنما شخص غريب جاء يدعى أن زوجها المسكين قد خرج واشترى وعاد . ما هذا الهراء ؟ ولكن جيوم يؤكد لها أن مسيو بتلان كان فى دكانه قبل مدة وجيزة ، وأنه جاء يريد ثمن القماش ، فصاحت به أن يمتنع عن هذا الهذيان وعن هذا الاتهام وليلزم الصمت لكى لا يقلق راحة المريض ، ثم يصلان الى غرفة بتلان فاذا هو يتقلب على فراشه متألما . ويحدث جيوم على اعتبار أنه الطبيب ويشكو اليه حاله وما يصيبه من الآلام ، فيتوسل اليه جيوم بأن يتذكره ويتوسل اليه أن يعطيه ثمن القماش ، ولكن جيميت تصيح به وتدفعه بعيدا عن المريض . فيعرف جيوم أخيرا أنه وقع ضحية محتالين ، فيخرج مسرعا الى دكانه ليتأكد من طول القماش ، فيقيسه فيجد أنه حقيقة قد قطع منه بضعة أمتار ، فيعود مسرعا مرة أخرى الى دار مسيو بتلان ويدخل مؤكدا صدق مطلبه وملحا أن يأخذ ثمن القماش أو يستعيده . ولكن بتلان لا يجيبه إلا بالتأوهات ، وعندها تعود جيميت إلى انتهاره واتهامه بإقلاق راحة المريض ، فيخرج جيوم متوعدا أنه سيشكوهم الى القضاء .

وفى الفصل الثالث نرى التاجر جيوم وقد خرج متوعدا ، ويتفق أن يلاقى الراعى توما . أما توما هذا فانه يشتغل راعيا لأغنام المسيو جيوم ، ويعرف توما بالأبله ولكنه خبيث أيضا وماكر ، استغل أمانة سيده لأغنامه فأخذ يبيع بعضها ويتصرف بثمنها فشكاه جيوم الى القضاء ، ونرى توما الراعى قادما الى دار المحامى بتلان لكى يوكله عنه .

وهنا يظهر خبث المحامى بتلان على أروع صورة فيتفق مع الراعى توما أن يدعى أنه أخرس ولا يجيب على أسئلة القاضى إلا بـ « آ آ آ » أى مثل أصوات الغنم

والمنظر الآن فى المحكمة حيث الفصل الأخير وقد ظهر القاضى والتاجر جيوم . وعندها ينادى الحاجب الراعى توما فيتقدم هذا إلى القاضى فيسأله عن اسمه فلا يجيب إلا (آ آ آ) فيتملك جيوم الغيظ والغضب وينكر أن يكون توما الراعى أخرس . وعندها يطلب القاضى عنايداة وكيله زعاميه فينادى الحاجب (المحامى بتلان) فيستغرب جيوم أن يكون بتلان حاضرا إذ قد تركه منذ وقت ليس بالبعيد مريضا أو متمارضا على الأصح . ولكنه يفاجأ بل يكاد يصعق عند ما يرى الباب يفتح ويدخل مسيو بتلان ، فيثور ويترك مسألة الغنم والراعى توما ويشكو بتلان إلى القاضى متهما إياه بالسرقة فيدهش القاضى ؛ ولكن جيوم يقول إن المحامى بتلان محتال ومخادع وماكر كان قد أخذ منه قماشا عند الصباح وعند ما جاء ليأخذ ثمنه فى البيت أنكره عليه وكان يدعى المرض بل كان مستلقيا على الفراش وأنه قد اتفق مع الراعى توما على انتهاك حرمة ماله . ثم يعود فيشكو الراعى توما إلى القاضى وكيف أنه سرق أغنامه وتصرف بها كما يشاء ؛ ثم ينتقل